ولكن لابن مالك أنصاراً ومؤيدين لم يقفوا من هؤلاء الناقدين فى صمت وسكون بل ردوا عليهم قولهم ومن هؤلاء ابن الوردى حيث قال:

يا عائباً ألفية ابن مالك وغائباً عن حفظها وفهمها
أما تراها قد حوت فضائلا كثيرة فلاتجر فى ظلمها
وازجر لمن جادل من يحفظها برابع وخامس من اسمها

يعنى «صه» فإنها عند الاستقلال بمعنى اسكت[1].

وكشأن أبى حيان فى إصدار آرائه نحو ابن مالك، مادحاً وذامّاً، رافعاً وخافضاً قال عن هذه الألفية فى موضع آخر «وهى كما قبل: غزيرة المسائل، ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل، وهى مع ذلك كثيرة الإفادة موسومة بالإجادة وليست لمن هو فى هذا الفن فى درجة ابتدائه بل للمتوسط يترقّى بها درجة انتهائه»[2]. وبمقارنة قوليه نجد الاضطراب واضحاً، والحكم مزعزعاً شأن أبى حيان دائماً مع منافسه الكبير ابن مالك. ولكن الذى يدعو إلى العجب، ويستوجب الدهشة والغرابة أن ابنه بدر الدين تلميذه الذى تربى فى كنفه تهجّم على أبيه فى الألفية بأسلوب إذا صح ما قاله فإنه يدل على عقوق كبير نحو أبيه الذى دوت له الدنيا بأسرها فى ميدان العلم والفن. قال ابن الوردى فى تاريخه: إن ابنه بدر الدين كان يقول – على ما بلغنى – مازال والدى يتخبط حتى نظم الخلاصة[3]. كما أن النقد يتخذ وجوهاً أخرى غير العداء الشخصى كأن يكون ضد مذهب أو اتجاه متعلق بالنحو كالفقه وأصوله خصوصاً أن الأوائل من علماء العربية عملوا بالأمور الشرعية كما عملوا بالنحو لكن الأمور الشرعية كانت أولى وأهم فى العهد الأول من حياة الأمة الإسلامية لتثبيت أركان الدين وإقرار الشريعة واستنباط الأحكام من النصوص. لقد هاجم ابن حزم القياس والقياسيين فى مواضع

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣.

(٣) ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٢٢٢، المطبعة الوهبية.